النفسي لرغباتها؛ التي لم تعد تتفق مع مرحلة النمو التي وصلت إليها، كمثل الشخص الذي ينطق الكلام بطريقة طفلية ، أو يقوم بمص أصبعه؛ و من ثم يؤدي النكوص بالشخصية إلى ممارسة سلوك غريب.

ينظر حسين عبد القادر و محمد البابلسي : مرجع سابق. 648-649.

22- للاطلاع على إحدى المشاهد المأساوية المتعلقة بـ"شارلوس" في الرواية ، يمكن مراجعة. ص.2223

*** الإعلاء (Sublimation) يعني تجريد الدوافع و الرغبات من الطاقة الجنسية المتعلقة بها لتتحول هذه الدوافع والرغبات إلى صور أخرى من النشاط غير الجنسي. فمن الممكن مثلا تحويل الطاقة النفسية المتعلقة بالرغبة الجنسية نحو أنواع كثيرة من النشاط غيرالجنسي كالألعاب الرياضية و الآداب و الفنون. و هو ما يلقى قبولا في المجتمع ؛ فيعرف بالإعلاء أو التسامي.

- ينظر سيجموند فرويد : الأنا و الهو ، هامش المترجم (عثمان نجاتي) ؛ دار الشروق، ط. 04 ، 1982 ، بيروت ، ص.51.

**** النرجسية (Narcisme) تعني عشق الذات ، أما الليبيدو النرجسي فهو اتجاه الليبيدو [الطاقة الغرائزية على وجه التحديد] نحو الذات و اتخاذها موضوعا للعشق و هدفا للذة. - ينظر المرجع نفسه ص. 50.

الحداثة: مساءلة نقدية للمفهوم

زازوي موفق*

تمهيد:

الحداثة مفهوما كثيرا ما يشير إلى اللبس و الغموض ، نظرا لتعارضه في الرؤية واختلافه في الذهنية مع الثقافات التقليدية السابقة.

نحاول في هذه المداخلة تقديم قراءة لبعض المبادىء التي تقوم عليها الحداثة.

ونتناول النقاط الآتية من خلال الاجابة على هذه التساؤلات.

- ما مفهوم الحداثة الغربية؟

- و ما هي أهم المبادئ التي تقوم عليها؟

- و هل للمجتمع الإسلامي حق الاختلاف عن هذا النمط من التفكير ؟

أ/ مفهوم الحداثة: لغة و اصطلاحا

أ/ لغة: من حدث و حادثة و هي ما يعبر عن حدوث الشيء و حدته،

فالمفهوم يرتبط بالجديد و الجدة في كل شيء. و كل ما هو حادث يعتبر ناقصا للقديم ففي التعريف اللغوي تشتق الحداثة من الفعل (حدث أي الحديث وهو نقيض القديم والحدوث نقيض القدمة، حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة وأحدثه فهو محدث وحديث وكذلك استحدثه)[1] و من معاني الحداثة أول الشيء وابتداؤه وفي بناء مصطلح تحديث(وهو جعل الشيء يلبي حاجات العصر و تكييفه وفق المعطيات الحاضرة[2]،ومن معانيها أيضا أول العمر وأول النشأة أي حداثة السن والحداثة في الشعر مثلا هي الإبداع والخروج عن المألوف فيه.

و إذ ما حاولنا تفكيك كلمة حداثة قد نحصل على كلمة حد و التي تعني نهاية الشيء و منتهاه، و النهاية هنا المقصود بها نهاية كل ما هو قديم فينا و كل ما هو متوارث أو ما يعرف عند أنصار الحداثة بالتقليد. وكأن الحداثة جاءت كحد أو كمرحلة فاصلة بين كل ما هو قديم. تراثي و ما هو جديد حداثي.

على هذا الأساس جاءت الحداثة في المجتمع الغربي و عند أنصارها في المجتمع العربي بمعنى تجاوز المجتمع التقليدي و إحلال محله المجتمع الحالي.

أما إذا رجعنا إلى كلمة حداثة باللغة الفرنسية modernité و قمنا بتفكيكها نحصل على كلمة mode أي الموضة بالعربية و يقصد بها "كل الممارسات التي تستسيغها الجماعة و تتقبلها فتنتشر بين كثير من الأفراد"[3]

و يمكن أن نحصل من تفكيك كلمة modernité على كلمة mort وهي الموت، و المقصود بها هنا موت كل قديم و موت و نهاية كل ما هو تقليدي و كل ما هو تراثي و قطع الصلة به نهائيا.نعني بذلك وضع قطيعة بين التراث و الحداثة.

و هذا يعني كذلك تجاوز كل ما يمثل الاطلاقية في الأشياء و تجاوز كل ما هو سماوي الاهي .فتصبح الحداثة بذلك مدمرة لكل شيء ماضي فينا.

ولهذا جاءت تعاريف الحداثة من حيث الاصطلاح .

تعني "منهج تغييري و مذهب انقلابي في المفاهيم و الأفكار يختفي تحت شعار التطور و التقدم و يقبع أحيانا تحت ستار الأدب و الفن"[4]

أما تعريفها الفلسفي فقد تشعب وتعدد من مفكر إلى أخر ومن ثقافة إلى أخرى ولكنه لم يحد عن المفهوم اللغوي الذي قصد به التجديد ومفارقة القديم أو على الأقل اعادة النظر فيه.

فكلمة MODERN "لفظ مستعمل بكثرة منذ القرن العاشر في المناحات الفلسفية أو الدينية وقد يستعمل بشكل ضمني إما بمعنى الانفتاح والحرية الفكرية.....وإما بشكل عامي ويقصد به حب التغيير لأجل التغيير و الميل إلى الاهتمام بالانطباعات الراهنة بلا حكم على الماضي وبلا تفكر فيه"[5]

لذلك فعند البحث في مفهومها الفلسفي نعثر على دلالات حتى و ان كانت عديدة الا أنها ملتبسة . لأنها تشير إلى ذلك الارتباط المتعلق بالتطور التاريخي و الاقتصادي و الاجتماعي الذي عرفه الغرب .و لكن رغم كل ذلك يمكن القول أنها محاولة لتجاوز الماضي و الارتماء في أحضان الحاضر، بل حتى استشراف المستقبل وهي أيضا معطى متداخل و متلاحم دون الرضوخ لقانون يجعله مقيدا أو خاضعا لمجال معين دون غيره. وهذا ما جعل من الحداثة مصطلحا زئبقيا يصعب الإمساك به.

هذا الوضع دفع جان بودريار إلى القول بأنها :"ليست مفهوما سوسيولوجيا ولا مفهوما سياسيا وليست بالتمام مفهوما تاريخيا ,بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي أي مع الثقافات السابقة عليه أو التقليدية المقابل النوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنها شيء واحد وجانس رائع عالميا انطلاقا من الغرب ومع ذلك فهي تظل مدلولا ملتبسا يشير إلى تطور تاريخي والى تغير في الذهنية"[6].

إن الحداثة بهذا المدلول هي دعوة إلى الانفتاح و الحرية و حب التغيير ورفض كل ما يمثل الانغلاق والتمسك بالماضي. فالحداثة مصطلح يتطور ويتغير بتغير الزمان فما هو جديد اليوم سيحمل ميزات القدم غدا.

على هذا الأساس نفهم أن الحداثة هي ثورة على كل ما هو قديم و على كل ما هو متواصل و سائد: سواء كان من أمور العقيدة أم غيرها من شؤون الحياة، فلا وجود لثمة ثوابت بل كل شيء خاضع للتغيير و قابل للانقلاب. فهي خطوة إن صح التعبير نحو المجهول. بحيث يصبح فيها لكل عصر عقيدته وفكره وأخلاقه، ولكل زمن تصوره الخاص عن الله و الكون و الحياة و الإنسان.

تقول خالدة سعيد زوجة أدو نيس :و هي أحد أكبر الممثلين العرب للحداثة "تمثلت الحداثة الأوروبية منذ بدايتها في الصراع مع المؤسسات الدينية وقوانين الكنيسة و التقاليد الأدبية لصالح مبادئ الحرية و الفردية والابتكار والعفوية"[7]. بهذا المعنى تحمل الحداثة في طياتها معنى الثورة و الانقلاب على المفاهيم القديمة والسائدة، كالطائفية والجماعية ومن سماتها كذلك العبثية بالماضي و تدمير كل ما هو موجود فينا و متواصل معنا. فحسب أدونيس هي رؤية جديدة ،رؤية تساؤل واحتجاج، تساؤل حول لممكن واحتجاج على السائد."[8] "فتكون إحدى خواصها الأساسية الشك والتمرد والفوضى في كل شيء ،في الأفكار والمبادئ والآداب والفنون وغيرها.

يمكن القول أن الحداثة هي رؤية جديدة قائمة على رفض و تدمير كل ما هو قديم و على كل ما هو سائد من أجل تغيير الأوضاع و البحث عن نمط جديد من الحياة. .

فجوهر الحداثة حسب ماكس فيبرMax Weber يتمثل في الانتقال من الشرعية التقليدية إلى الشرعية العصرية[9]، أي أنها الانتقال من مرجعية قائمة على قدسية الماضي والتراث إلى سلطة قائمة على نفوذ العقل والعقلانية في الأشياء.

من أهم القيم التي تتأسس عليها الحداثة ثلاثة مبادئ أساسية:

1/- العقل/ أو العقلنة.

2/- الدنيوة/ الدنيوية.

3/- الفردانية.

1- **العقلنة :**

تشكل الحداثة رؤية جديدة للعالم مبنية على مبدأ العقلنة[10] وهي تقتضي في ظل التنظيم المعقلن. فانتصار العقل يعني حلول عقلنة صارمة و وحانقة وقمعية حسب فرويد[11].

إن الحداثة تمثل مشروعا غربيا معقلنا ارتبط في بداية أمره بالحياة الاقتصادية و ذلك من خلال تبني مجموعة الأساليب الجديدة المعقلنة في عمليتي الإنتاج و التبادل التجاري والتخلي عن كل الأنماط التقليدية. وماكس فيبر بتحليلاته العميقة أبرز تجليات الحداثة من خلال تبيان النهاية الحتمية للمجتمع التقليدي.

لقد تمكن من تحليل نظام العقل الحديث؛ فنظام العقلنة الذي يرتبط بالحداثة في الإنتاج لا يظهر في الجانب الاقتصادي والمادي بقدر ما يظهر في النظرة البنيوية للمجتمع الحديث للعالم. إن نظام اشتغال الآلة كان له تأثيره القوي على نظام تدبير المصنع وتكييف الثقافة ونظام القيم والسلوكات مع العقلنة.

لقد طال هذا التصور كل أنماط البناءات الأخرى، الاجتماعية والسياسية والدينية للمجتمع.

1-1- في الجانب الاجتماعي

تم التغيير في الأنظمة بحيث تم الانتقال في المجتمع الحداثي من أنماط اجتماعية ثقافية جامدة إلى مجتمع حداثي تعود فيه الكلمة الأخيرة إلى الفرد والعقل[12]. فالمجتمع الحداثي هو ذلك المجتمع القائم على البعد التكنولوجي وعلى التطور الدائم في الاحتياجات الاستهلاكية، إلى جانب قيامه على مؤسسات تخضع لنوع من التنظيم للعمل الجماعي والعمل المتخصص. وحسب ماكس فيبر، يقوم المجتمع الحداثي على البيروقراطية كما أنه يقوم على العقلنة التي تتحول إلى جهاز قيمي ورمزي بحيث يتحول إلى معتقد جماعي يتم توظيفه من خلال البنية المؤسساتية للمجتمع. ومن هنا فإن هذا المجتمع يتأسس على مجموعة الطبقات المتباينة المصالح اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. فالتقسيم الطبقي والتراتبية التي يخضع لها المجتمع قائمة على العقلنة.

1-2- في الجانب السياسي

يقتضي تحديث السياسة استبدال كل سلطة سياسية تقليدية سواء كانت دينية، عائلية، عرفية بسلطة سياسية وطنية علمانية. هذا يعني أن المجتمع الحداثي يقوم على التعددية الدينية والأخلاقية والإيديولوجية ويخضع إلى دولة ليبرالية تستمد مشروعيتها من نظام عقلاني قاعدته الإرادة العامة.

فالإنسان في هذا النظام يكون الكائن الوحيد الصانع والمنتج لهذه السلطة والتي تعد مؤسسة قانونية وضعية لا صلة لها ولا ارتباط لها بما هو سماوي أو طبيعي. وتقتضي الحداثة السياسية إصرارا على السيادة العليا الظاهرية للدولة الوطنية... تعني

انسجاما وطنيا، ومركزة أو تجمع القوة في مؤسسات التشريع الوطنية المعترف بها"[13].

وتقتضي الحداثة السياسية أيضا المشاركة السياسية المتزايدة للمواطنين، من خلال انخراطهم وتأثرهم بالحكومة.

في الجانب الديني فقد تم التغيير في الغرب من هيمنة العقل اللاهوتي إلى دائرة وسيادة العقل التنويري الحداثي.

فالعقل اللاهوتي مبني على الاعتقاد بامتلاكه كل الحقيقة، فالحقيقة هي الله والله هو الحقيقة. هذا يعني أنه يتعذر على الإنسان صنعها وامتلاكها، أما العقل الحداثي فإنه يقوم على اعتقاد العلماء بان العقل هو كل شيء. هو المرجعية التي لا يمكن الابتعاد عنها وإلا تعرض إلى الانحراف والزيف[14]. وبهذا تكون الحداثة تعبيرا عن نهاية المرجعيات.

هذه هي الحداثة بصورها المختلفة. فهي نتيجة للتحديث الذي مر به المجتمع الغربي عبر سيرورة تاريخية طويلة الأمد. فالتحديث في هذا الإطار عملية تحول شامل بدأ من الغرب وانتقل إلى العالم عبر مختلف الأساليب.

وقد يتحول التحديث إلى حداثة عندما يتحول إلى تصور كوني عالمي قادر على اختراق المجتمعات والحضارات الأخرى والتي لا تمثل موطنه الأصلي. وهنا يقع التقابل بين نموذجين من المجتمعات:

- الأول يمثل النموذج الحضاري الوافد،
- أما النموذج الثاني فيعرف بالمجتمعات التقليدية.

2- الدنيوة/ الدنيوية

يقصد بها دنيوية النظرة إلى الحياة أو علمنتها. فقد عرفت الحداثة في الغرب صراعا شاملا بين البنيات والأفكار التقليدية و نظيرتها الحداثية، تمخض عنه استقلال المجال السياسي الديني والذي يعني رفع القداسة عن السياسة. وبعبارة أخرى، إبعاد كل محاولة احتماء بالدين لشرعنة حكمه وبالتالي يكون خارج آليات المساءلة والمراقبة الشعبية.

إن عمل الغرب على استقلالية السياسة مكنه من إضفاء صفة الدنيوية عليها. ومن مظاهر هذه الاستقلالية : الانتخابات وإعطاء الفرد مزيدا من الحرية في التعبير عن وجوده.

من مظاهر الحداثة، الليبرالية السياسية وهي لفظة مشتقة من(liber-alisme) وهي مذهب الحرية القائم على جعل الحرية أساس الفعل الاجتماعي والسياسي باعتبارها المبدأ المقدس الذي تتأسس عليه الليبرالية[15].

من الأسس التي تقوم عليها الليبرالية السياسية:

أ. مبدأ الحرية.

ب. إقرار الحريات العامة: و يقصد بها لمشاركة في السياسة كالتصويت والترشيح و المراقبة (مراقبة أداء الدولة).

ج. الحد من سلطة الدولة المطلقة: على أساس أن الليبرالية تعمل على عقلنة الفعل السياسي والحد من إطلاقيته وتسيّبه.

د. مبدأ سيادة السلطة: القائم على إرادة الشعب.

3- الفردانية

وتعني الفرد مقابل الجماعة وأولوية العلاقات بين الأشياء من العلاقات بين البشر. وهي الميزة الأساسية التي تميز بها العصر الحديث. فعلى المستوى السياسي والاقتصادي تتطابق مع الذاتية الفلسفية ممثلة في الكوجيتو الديكارتي "أنا أفكر".

بذلك يكون ديكارت قد أعطى الأولوية للوعي الذاتي والحرية. و قد ساهم في ذلك كانط كذلك من خلال تقديم العقل والحرية والاستقلال الذاتي للفرد.

وعند علماء الاجتماع، تمثل الفردية ميزة تخص المجتمعات الصناعية الحديثة. ذلك أن الفرد هو الوحدة المرجعية والأساسية وإليه يعود كل شيء[16].

على هذا الأساس يمكن القول أن الحداثة ترتبط بزيادة حصة الحرية، من خلال إعطاء كامل المسؤولية للفرد ولفاعليته.

وحسب الدكتور القس أندري زكي فإن الحداثة تتخذ مفهومان:

- الأول يمثله التيار اللاهوتي المتطرف والذي يفصل بين الدولة والدين ولا يعترف بالمعجزات وكل ما هو فارق للطبيعة ولا يخضع للعقل والخرافة وتعد فرنسا رمزها له.

- أما التيار الثاني فيمثله المحافظون الجدد، وهو مفهوم جديد قائم على العلاقة الجدلية بين الدين والنظام السياسي. وهذه العلاقة قائمة في حد ذاتها على المفهوم أخلاقي، يقدمها الدين للنظام السياسي. هذا المفهوم تمثله ألمانيا وهو أقرب إلى البلدان العربية.

إن هذا النموذج أعاد قراءة النص في إطار حداثي فأنتج تفسيرات جديدة أسهمت في صياغة نموذج سياسي يتجاوز الانتماء الديني لكنه يرتكز على أسس إيمانية[17].

نقد مفهوم الحداثة:

عند التأمل في هذا المفهوم و في المبادئ التي قام عليها .يمكن القول أن الحداثة مفهوم غربي . و هذا المفهوم هو واحد من عدد التجليات التي قد يعرفها .فليست النموذج الوحيد و النهائي الذي ينبغي أن يقتدي به. فالحداثة حداثات . و الاختلاف في التفكير حق لذلك يحق للمجتمعات الإسلامية تدشين حداثة على منوالها .ذلك أن الحداثة في المجتمع الغربي لها خصوصيتها. فقد مرت بظروف وملابسات لم يعرفها المجتمع العربي الإسلامي. و هذا ربما العائق الأساس الذي كان وراء الفشل الذي منيت به الحداثة في المجتمعات العربية. وخلق جدلا كبيرا في أوساط النخب بين مؤيد و ورافض لها.

أما بخصوص المبادئ التي قامت عليها الحداثة يمكن تقديم الاعتراضات التالية:

1/-العقلنة: إن الأصل في الحداثة الانتقال من حال الاعتقاد إلى حال الانتقاد، و المراد بالاعتقاد هو التسليم بالشيء من غير وجود دليل عليه كإيماننا بالله و رسله و كتبه. ويقابله الانتقاد و هو وحدة لمطالبة بالدليل على الشيء كي يحصل التسليم به[18]. والنقد مبدؤه الشك في كل شيء فكل ما يخطر على البال يخضع لهذا الشك و من مختلف الظواهر وأنواع السلوكات التي تصدر عن الإنسان في حاضره

وماضيه. إلا أن المتعارف عليه أن طرق المعرفة يمثلها الاستدلال بأنواعه (العقل) وفي مقابل ذلك الحدس الذي من جنسه الخبر (الوحي) والذي قد يكون أيقن و أكمل من المعرفة الحاصلة بالنقد ، و التي يغلب عليها طابع النسبية.

إن ممارسة ديكارت و الذي يعتبر أب الفلسفة الحديثة لمنهج الشك أدى به الأمر إلى الشك في كل شيء حتى في وجوده ، عندما قال أنا أشك و الشك تفكير إذن أنا موجود "كوجيتو ديكارت" .

أراد ديكارت من خلال هذا الشك أن يثبت أن الإنسان هو مركز العالم وليس الله الذي تصدر عنه الأشياء، هكذا يصبح الإنسان حسب ديكارت سيدا الطبيعة. ولهذا نجد من بين التعاريف التي أعطيت للحداثة على أنها "ممارسة السيادات الثلاثة من طريق العلم و التقنية ،السيادة على الطبيعة و السيادة على المجتمع والسيادة على الذات."[19] غير أن هذه السيادة و التي عبر عنه ديكارت عندما قال : حتى نكون أسيادا للطبيعة أمر مردود عليه فقد حولته الطبيعة إلى عبد مسود تابع لها وخاضع لأوامرها[20]. يظهر ذلك في الأمراض الكثيرة التي تفتك به ،و في انتشار أسلحة الدمار الشامل، وفي التلوث الذي يهدده في كل لحظة.

فالإنسان الغربي دخل في صراع مع الطبيعة عندما اعتقد أنه مالكها وخالقها يفعل بها ما يريد . والواقع أنه انه لم يخلقها بل سخرت و ذللت له عندما عرف قوانينها لكنه في معرفته هذه مارس عليها العنف .يقول كلود بيرنارد في تطبيقه المنهج التجريبي على الظواهر الطبيعية أكد على أن الملاحظ ينبغي أن ينصت إلى الطبيعة والمجرب يرغمها على الجواب. إن الطريق الإسلامي حسب طه عبد الرحمان

في التعقيل الحداثي هو أن لا يصارع الطبيعة و لا يتسلط عليها. و إنما يخاطبها ويودها حتى تبوح له بأخبارها و أسرارها[21].

أما بخصوص مبدأ العقلنة و الذي ألّه من خلاله العقل قد يستحيل ذلك لأن العقل ليس بإمكانه عقل ذاته "لان الأصل في الوسيلة أن تكون أقوى من المتوسل إليه فنحتاج إذن في عقل العقل إلى عقل أقوى منه..."[22] و إذا كان العقل يمثل الجزء من الكل فمن المحال أن يحيط ذلك الجزء بكله.

ثم إن العقل الذي قامت عليه الحداثة الغربية يصطلح عليه بالعقل الأداتي ، وهذا العقل محدود و نسبي اقتصر على الجوانب المادية و أهمل جانب آخر في الإنسان يعرف بالوجدان. و الخطأ الذي ارتكب في ذلك يكمن في الفصل بين الجانبين في الإنسان أي انه قسم ما لا يقبل التقسيم، لأن هذا الأخير يمثل وحدة كلية متكاملة.

2/-العلمنة/أو العلمانية: وتسمى الدنيوة أو الدنيوية

العلمنة اختصارا هي رفع القداسة عن كل شيء و العمل على الفصل بين ما بين ما هو مقدس و ما هو مدنس أي بين ما هو سماوي و ما هو أرضي. و هذا ما يعرف بفصل الدين عن السياسية . تجسيدا لمقولة ما لله لله و ما لقيصر لقيصر.

إن هذا الفصل بين الدين و السياسة هو الآخر مردود، لان الخلط بين الكنيسة و الدين وقع في التاريخ الأوروبي ولم يعرفه التاريخ الإسلامي. وذلك عندما اعتبرت مؤسسة الاكليروس نفسها مؤسسة سياسية. وعلى هذا الأساس فان المغالاة

تكمن في محاولة التعميم الخاطئ الذي يسعى إلى نقل التجربة الأوروبية للحداثة إلى المجتمعات العربية و الإسلامية .

و في هذا السياق ، يرى طه عبد الرحمن، أن الفلسفة الغربية، بعد إقرارها بالعلمانية كفصل كلي للدين عن السياسة، تكون قد أعلنت نهائيا إبعادها للأخلاق من الحياة اليومية وهو ما يجد ما يتجسد من حين لآخر حسب المفكر المغربي في ظواهر أصبحت شائعة في المجتمعات الغربية المعاصرة، ولها مشروعيتها القانونية كـ"المثلية الجنسية"، أو "قتل المرضى والمحتضرين المبؤوس منهم" أو ما يعرف بالموت الرحيم. إلى جانب هذه المآخذ فقد ذهب ألان تورين إلى أن أنصار الحداثة قد ابعدوا نهائيا العالم المقدس من حياة الإنسان عندما اعتقدوا أن "لا المجتمع ولا التاريخ ولا الحياة الفردية تخضع لإرادة كائن أسمى يجب الإذعان له أو يمكن التأثير عليه بواسطة السحر. الفرد لا يخضع إلا لقوانين طبيعية."[23]

3 - الفردانية

و بخصوص الفردانية فان الحداثة أعطت الفرد الأولوية على حساب الجماعية وبذلك قد وسعت من دائرة الحرية و الأنانية و أقصت الأخلاقية التي تعتبر الالتزام الذي يحد من طغيان هذه الأخيرة .و من جهة أخرى فان الإعلاء من شأن الفرد أوقع في بتضخم الأنا على حساب الآخر المختلف "من هنا يلعب الاختلاف دورا معياريا و ليس معرفيا فحسب.. كان خطاب المركز الموجه نحو الهامش يقول انه المركز و الآخر هو الهامش.."[24] و هذا الأمر الذي دفع الغرب إلى إقصاء كل ما هو خارج دائرته، و إخضاعه للسيطرة و التبعية.

الخاتمة:

إن أهم ما نخلص إليه هو أن الحداثة مفهوم نبت في أرضية غربية كانت محكومة بظروف تاريخية واجتماعية و سياسية معينة مخالفة و مغايرة لمثيلتها العربية و الإسلامية .ولهذا فان المبادئ التي قامت عليها الحداثة في الغرب احتكمت إلى رؤية معينة لله و الكون و الإنسان ،حيث جعلت هذا الأخير مركز العالم بدل الله في التصور التقليدي.

هذه الرؤية أسست لمبادئ كالعلمنة و العقلنة و الفردنة...غير أن محاولة المجتمعات العربية و الإسلامية الأخذ بهذه الحداثة الغربية لتتخذ لذاتها سبيلا لها نحو التحديث طرح أمام نخبها الكثير من الجدل بين مدافع و معارض .هذا ما جعلنا نعتمد على بعض الأعلام الغربية في نقدها لمجتمع الحداثي الغربي كآلان توران و ميشال فوكو ،لتتأكد مقولة و شهد شاهد من أهلها .و بعد ذلك استعنا بأحد منظري الحداثة الإسلامية ،طه عبد الرحمان و الذي ذهب إلى أن الحداثة الغربية ما هي الا تجلي من تجليات روح الحداثة ، وقد تعرف الحداثة نموذجا آخر يأخذ بعين الاعتبار الواقع العربي و الإسلامي. دون هدم الماضي و دون التمرد على الأخلاق و القيم والمعتقدات. وهذا ما دفع أحد المفكرين العرب إلى اعتبار خطاب الحداثة نقيض خطاب الإسلام ،فهو يعني الإبداع مقابل الإتباع، والعقل مقابل النقل أو الدين. فإذا كان الدين من بديهيات المعرفة اليقينية في المجتمعات الإسلامية ،فانه قد يأخذ كمعطى جوهري في تشكيل المعرفة .فالعلوم الاجتماعية بالمنظور الوضعي تعتبر الظاهرة الاجتماعية كشيء من الأشياء محاكين في ذلك الظاهرة الطبيعية المادية و

الإنسان عند عالم الاجتماع غير الوضعي. والذي يأخذ بعين الاعتبار حرية الإنسان وإرادته و إيمانه بقوة ميتافيزيقية عليا .هذه النظرة المسبقة هي التي قد تؤدي إلى إنتاج واقعا مختلف عن تلك التي تأسست على النظرة الحدائية .و تلك هي القاعدة التي ينبغي للمسلم المشتغل في هذا الميدان أن يأخذ بها.

الهوامش:

[1] – ابن منظور –لسان العرب–المجلد الثاني–دار صادر–لبنان–دط–ص131

2–المنجد في اللغة العربية المعاصرة–دار المشرق بيروت–ط1–2000 –ص258

3– د فوزية دياب ،لقيم والعادات الاجتماعية مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت1980، ص217.

4–محمد بن عبد لعزيز بن أحمد العلي، الحداثة في العالم العربي ،دراسة عقدية إشراف الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل، المجلد1، كلية أصول الدين، الرياض، ص123.

5–اندريه لالاند–موسوعة لالاند الفلسفية–معجم المصطلحات الفلسفية النقدية والتقنية م.2 ت.خليل احمد خليل–عويدات للطباعة والنشر– لبنان–ط2008 ص822

6– مالكم برا دبري وجيمس ماكفارلن–الحداثة–ترجمة مؤيد حسن فوزي–دار المأمون للترجمة والنشر بغداد–1987ص30.

7– محمد بن عبد لعزيز بن أحمد العلي، المرجع نفسه، ص 128.

8– محمد بن عبد العزيز بن أحمد العلي، المرجع نفسه، ص 136.

9– محمد سبيلا، زمن العولمة فيما وراء دوائر الوهم، دار توبقال للنشر، ط 1، 2006، ص 51.

10– محمد الشيخ، جاذبية الحداثة و مقاومة النقليد، مطارحات في الفكر الفلسفي العربي المعاصر، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط 1، 2005، ص256.

11– فابريس ريبيه، وجها الحداثة، في الحداثة و انتقاداتها ، نقد الحداثة من منظور عربي إعداد و ترجمة محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، ط1، 2006، ص 11.

12–القس أندري زكي: الحداثة والعلمانية في دفاتر فلسفية الحداثة وانتقاداتها ، نقد الحداثة من منظور عربي إسلامي إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر، ط 1، 2006، ص 17.

13– الحداثة والوعي السياسي، روبيرتس وهايت في دفاتر فلسفية الحداثة وانتقاداتها ، نقد الحداثة من منظور غربي، إعداد و ترجمة محمد سبيلا و عبد السلام بن عبد العالي، دار توبقال للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2006، ص 27.

14– محمد سبيلا، المرجع السابق، ص 51.

15– محمد سبيلا، المرجع السابق، ص 55.

16– ر. بودون، و ف. بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة سليم [illegible] ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الط الأولى، 1986، ص 414.

17– القس أندريه زكي، الحداثة و العلمانية في الحداثة و انتقاداتها، II نقد الحداثة من منظور عربي إسلامي، دفاتر فلسفية (نصوص مختارة) إعداد و ترجمة محمد سبيلا